

الجديد الموجه

إن العالم الغربي الصناعي لم يعد يحترم حضارة لا تعتمد الصناعة، ولا الإنسان الذي يمارس الزراعة دون الصناعة، تقييم جديد للحضارات وأهلها وما قدمت أو تقدم.

إن الغرب يضغط بكل قوة كي لا ترتفع أسعار النفط، وقد كانت الشركات الغربية تأخذ النفط العراقي وتدفع (٥) بنسات عن البرميل، ويتعالى الصراخ والعيويل إذا جاوز برميل النفط (٥٠) دولاراً في حين تكسب الدول الغربية (٢٠٠) دولار من كل برميل عن طريق الضرائب ونتهم نحن (الغلابة) بالجشع ورفع سعر النفط. قبل حوالي ثلث قرن كنت أشتري السيارة الجديدة بحدود (٢٠) ألف ريال، الآن سعرها يتجاوز (٨٠) ألف ريال.

الشركات الغربية تصنع الأدوية فاشتري (بلافكس) غربي بقيمة (١٠٨) آلاف دينار عراقي - أكثر من ١٠٠ دولار - ومثله الهندي بـ (٨) آلاف دينار.. في زيارة لجنوب أفريقيا - في الثمانينيات - لاحظت أن المنتج الزراعي ومثله الحيواني بسعر التراب، دولار واحد أشتري به أكثر من نوع من الفاكهة، وعدد من الكيلوات، أما اللحم فسعر الكيلو دولار واحد، سألت رجلاً من البيض: ما هذا؟! فقال: كل بضاعة ينتجها الإنسان الأسود فسعرها (عدم) حتى أجور العمل للسود حددت الحكومة سقفها وتمنع تجاوزه.

والجديد أن الغرب ينقل صناعته من بلده إلى بلدان العالم الثالث نظراً لوفرة اليد العاملة ورخصها الكبير.

بالأمس كانت دول الغرب تبعث (المبشر الديني) ثم تتبعه بجيشها الاستعماري وتلحق الكل بشركاتها التي لا تشبع.

ذات يوم أصابت (صحوة ضمير) المعلم سارتر - ملك الوجودية فصرح: إن كل ما في الغرب من جامعات وشوارع وموانئ وعمران ورفاه كان بسبب وبفضل الاستعمار وما قام به من نهب لخيرات الدول والشعوب التي استعمرت؛ لذا فالكل شريك في هذه الجريمة، واليوم يحكم الغرب (اللعبة) فيسند هذه السياسة إلى هيئات دولية كالبنك الدولي والجات وعشرات المؤسسات ومهمتها أن تجعل السرقة والنهب يأخذ صفة (شرعية) لا يمكن لأحد الاعتراض عليها، إذا رضيت عنك أمريكا تنهال عليك القروض والمساعدات، وإن غضبت ضربت عليك الحصار والعقوبات، والويل لمن كفره النمروذ!

أكبر خلل وأعظمه

اليوم يشهد العالم كله حصول أكبر خلل ف ٢٠٪ من أغنياء العالم يملكون ٨٠٪ من ثروته، والباقي للباقي.
ما يقارب (٣٠٠) من أغنياء العالم يملكون أكثر ما يملكه (ثلث) العالم..

حضارة اليوم تصنع (التخمة والمجاعة وفقر الدم)،
الإنسان في الغرب متخم يبحث ليل نهار عن (رجيم) وملايين
تعيش تحت خط الفقر، وتبحث عن لقمة بين أكداس النفايات،
إنها حضارة (الغول والتغول) حضارة النهب والسلب وإسناد
الحكام الفاسدين، وأعظم بها حضارة وثروة! وصدق الله
العظيم إذ يقول: ﴿وَالَّذِي حَبِثَ لَآيَحْجُجَ إِلَّا نَكِدًا﴾ (الأعراف: ٥٨).
حضارة مادية تنتج عيشة نكدة، تدفع بعض أهلها للانتحار
رغم التخمة...

أهؤلاء هم قادة العالم، فإلى أين المصير؟

الغرب يعشق الصراع

من يدرس الغرب وحضارته والغزو الاستعماري لكافة
القارات والحكم الدموي الذي فرض، مع احتقار لكل حضارات
العالم وأهلها سيصل لما وصل إليه زكي ميلاد وتركي الربيعو^(١):
ما لم يغير الغرب من نظرتة لذاته فلن تتغير أو تتطور علاقته
بالأمم والحضارات الأخرى، وهذه النظرة لن تتغير إلا بوجود
رؤية فلسفية تعيد تشكيل (الذات الفلسفية) للغرب، الذي
يعتقد أن النزاع والصدام هما من يوفر له (حوافز التحدي)
للتقدم والتطور، وأن يضع أمامه (عدوًا) ليضمن لذاته التنافس
الخارجي، مع التماسك الداخلي... أ.هـ.

(١) الإسلام والغرب ص (١٠٩) طبعة أولى.

د. نعوم تشومسكي يذهب لأبعد من ذلك إذ يرى^(١): أن الأوروبيين يحاربون بهدف (القتل)، وكان لديهم من الوسائل ما مكنهم من إرضاء (شهوة الدم) عندهم... أ.هـ.

والشاهد هو دموية الحروب الأوروبية الطويلة الدامية، وخلال القرن العشرين أشعل الأوروبيون حربين كونيتين، قدر المستشار بريجنسكي ضحاياها بأكثر من (١٧٦) مليوناً من البشر، هذا غير الذين ماتوا بسببها أو منفيين أو هلكوا في السجون والمعتقلات.. ومع ذلك فهناك (عميان) ما زالوا يغنون منذ أكثر من ألفي عام متصلة: (من لطمك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر...؟)

الغرب يسقط دمويته على الإسلام

طارق بنوري^(٢) - المدير التنفيذي لمعهد دراسات الإنماء السياسي في باكستان - يلاحظ أن الغرب يسقط ما عنده من عنف ودموية على الإسلام وأهله، ويقول: الكتاب الغربيون يواصلون تقديم الإسلام على أنه (مرادف) للأصولية والإرهاب، وهذه الكتابات تنطلق من شعور عميق بعداء يكمن في اللاوعي يصور الإسلام (جسد) والغرب ثقافة، والإسلام

(١) المرجع السابق ص (١٥).

(٢) موقع الإسلام من صراع الحضارات، محمد السماك ص (٢١١).

طبيعة، في المحصلة يظهر الإسلام كأنه مثير للغضب والهيجان والعنف والإرهاب، وهذه كلها غرائز جسدية، تحتاج - وفقاً لمفهوم العنصرية - إلى التدجين... أ.هـ.

ونسأل القوم من أشعل حروب أوروبا، ومن المسؤول عن الحربين العالميتين الأولى والثانية؟

من السقطات والإسقاطات

في الأعم الأغلب المستشرق لديه أحكام مسبقة حين يبحث يكون همه الأول الحصول على دليل يسند قناعته فإن لم يجد وعز عليه الطلب فلا مانع من (التلاعب بالنص) ولوي عنقه وتفسيره بما لا يحتمل..

من هذه الطينة جوليان في مؤلفه (العنصري) تاريخ فرنسا، حيث يقول^(١): إن محمداً مؤسس دين المسلمين، قد أمر أتباعه أن يخضعوا العالم، وأن يبدلوا جميع الأديان بدينه.

ما أعظم الفرق بين هؤلاء الوثنيين والنصارى!

فما رأي المستشرق العظيم بقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي

الدِّينِ﴾ (البقرة: ٢٥٦).

(١) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ١/٢٢٨.

ومن أقام محاكم التفتيش السيئة السمعة والصيت؟
وما مصير عرب الأندلس والهنود الحمر والأفارقة؟
ومن استعمر القارات كلها، ونهب خيراتها، وسفك دم
شعوبها، وما يزال يمارس اللعبة المحببة؟ أه لو ذات سوار لطمتمني!

اختراع الأعداء ليستمر الصراع

هنري كيسنجر ملك العنصرية والطائفية في العالم يلقي
خطاباً بصفته وزيراً الخارجية أمريكا، يلقيه عام ١٩٩٠م أمام المؤتمر
السنوي لغرف (التجارة الدولية) جاء فيه^(١): الجبهة الجديدة
التي على الغرب مواجهتها هي (العالم العربي والإسلامي) باعتبار
هذا العالم هو (العدو الجديد للغرب) ... ١.٥هـ.

المؤرخ التركي كيريا بخيل قام بدراسة ما بين عام ١٧٩٨
- ١٩٥٣م فقد تعرض (العالم الإسلامي) إلى (٣١٨) هجوماً
عدوانياً من الغرب، علماً بأن العديد من الدول العربية
والإسلامية كان وما زال حليفاً للغرب.

تجربة من العراق

بعد سقوط بغداد وانتداب (بريمر) هولوكورقم (اثنين)
لحكم العراق ابتعد السنة واعتبروا (أعداء)، وكان (بريمر)

(١) موقع الإسلام من صراع الحضارات ص (١٧).

حاكمًا، سئل عن سبب إقصاء السنة وتهميشهم لا يزيد عن القول: من يقاتلنا في العراق غير السنة؟

وبعد جهود كبيرة مضيئة تقدم السنة للمشاركة لكنهم بقوا يحتفظون بصفتين متناقضتين (حليف وعدو) حليف؛ لأنه شريك، وعدو يجب إفشال جهوده وإحاق الهزيمة بكل مشاريعه..

العرب مارسوا (هذه اللعبة) خلال الحرب العالمية الأولى فتحالفوا مع الغرب ضد إخوانهم الأتراك، وقاتلوهم مع الجيوش الغربية، فكافأهم الغرب أعظم مكافأة حيث قسمت بلادهم واستعمرت وجاءت معاهدة (سايس بيكو) لتوزيع (التركة)..

وضع فريد (حليف) يحارب إلى جنبك وتعدّه (عدوا)..

وهكذا فعل ويفعل الغرب، ويقوم كيسنجر (ملك العنصرية) ليفني للغرب: عدوكم الأول العرب ولو تظاهروا بزي الحليف.. وكلما (غصت أمريكا بلقمة سارع) العرب بصب (النفط) كي تتعافى أمريكا، فنحن (الصديق العدو)^(١) دومًا وأبدًا، ومن يجادل في هذا فليسأل بوش وحكومته: ما جريمة العراق حتى استحق أن تحطموه وتعودوا به كيوم ولدته أمه في الحرب العالمية الأولى؟

(١) للكاتب كتاب متواضع عنوانه: (الصديق اللدود) ظل يقاتل سنة كاملة كي ينشر ويطبّع وكان يقال له: أنت تهاجم أمريكا حليفنا؟!

نحن والصديق اللدود

من حقنا وحق غيرنا في العالم كله أن ينقد الغرب وحضارته، طالما أن أصحاب هذه الحضارة يفرضونها على العالم بكل الوسائل؛ لذا من حقنا نقد هذه الحضارة ونقد إنسانها.. د. عبد الوهاب المسيري له مشروع ثقافي يعالج (التحيز) في العلوم والمعارف والسياسة، وقد كتب^(١): إدراكنا (للتحيز) لن يجعلنا نسقط في (العدمية الفلسفية)، فنعلن انتهاء العلم والتاريخ، نحن نؤمن أنه لا بد أن يواكب كل آليات تجاوز (التحيز) صياغة نموذج (معرفي بديل) يستفيد من العلم الغربي، ومن كل العلوم والتجارب الإنسانية، وينطلق في ذات الوقت من (تراثنا) حتى يمكن (توليد) معارف وعلوم جديدة، نحقق بها إمكاناتنا الإبداعية التي حباها الله بها، وكرمنا بها كبشر..

بمعنى آخر يجب أن لا تكون جهودنا (تفكيكية) فحسب، تكتفي برصد (تحيزات الآخر) بل يجب أن تصبح تأسيسية فتطرح نموذجاً (بديلاً)، فإذا كان اكتشاف النموذج الكامن في خطاب الآخر عمل شاق، فتطوير البديل أكثر صعوبة، حيث لا يمكن إنجاز البديل إلا من خلال تضافر جهود جماعية متكاملة تتم على عدة مستويات، وذلك من خلال رصد وتصنيف النقد

(١) العالم من منظور غربي، ص (٢٨٤) كتاب الهلال طبعة ٢٠٠٠ م.

التراكمي، حتى تتحدد الأنماط العامة الجديدة التي يتم مراكمته المعلومات في إطارها، كي تتحدد الملامح الأساسية للنموذج البديل... أ.هـ.

سيقول البعض: هذا حلم صعب التحقيق، وأذكر بمثل واحد، جهودنا العامة في ضبط الأمن ما تزال متعثرة في أكثر من بلد، لكن أمن الرؤساء والكبار يسير وفق إبداعات متوالية ونجاح متواصل، سمعت من رجل أمن عربي كبير يقول: حضرنا تجمعا للأمن الخاص بالكبار، وراح المتحدث يتكلم عما سنراه من وسائل الإبداع، واشتغل جهاز الفيديو، فإذا (صدام حسين) هو النموذج عالي الجودة، تحيط به جماعة كزهرة تفتح وتغلق وفق نظام دقيق.

الأحظ كغيري: الجرائم السياسية تكتشف في أقرب الأوقات، أما الجرائم العادية فتسجل عادة (ضد مجهول)، حتى شاعت نكتة رائجة - على لسان الشرطة -: قبضنا على (الجثة) والجاني هارب!

اليابان والصين والهند وماليزيا وغيرها طورت لنفسها نماذج، فلماذا كتب علينا أن نقلد، ونقلد نموذجا بعينه دون سواه؟!

نحن والإمبريالية

أسارع للقول: العنوان ليس لي، بل لرجل علم ومعرفة درس في الغرب وتخرج في جامعاته ودرّس فيها، إنه أ.د. عبدالوهاب المسيري.

سيصرخ ناس لقد شعبنا من سب الاستعمار والإمبريالية، كان ذلك هو (تسبيح الشيوعيين) سبعين عاماً ثم ماتت الماركسية بالسكتة القلبية والدماغية معاً، فهل تريد أن تذكر بذلك الصخب الذي صك آذان العالم، ليتحولوا بين يوم وليلة إلى عاشق مقيم بالغرب وأمه أمريكا؟ أم تريد أن تذكرنا بذلك الهراء المقزز من أحزاب عربية اشتراكية يقودها أميون أو عسكري فاشل، هرب من العسكرية لفشله ليسرق السلطة ويعلن نفسه الزعيم الأوحده أو الأخ القائد الملهم أو البطل المحرر، لقد كانوا أبطالاً علينا وهم (نمور) من ورق.

بعد هذه المقدمة المتواضعة أعود للأستاذ المسيري يرحمه الله فهو يكتب^(١): يجب أن ندرك أن (الإمبريالية) الغربية قد حطمت كثيراً من أبنيتنا الحضارية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية، كما قامت بنهب بلادنا، وكذلك بقية العالم، وهي لا تزال تتدخل في شؤوننا من خلال أذرعها المختلفة ابتداءً من

(١) العالم من منظور غربي ص (٢٨٥).

(وكالة الاستخبارات الأمريكية وانتهاءً بمؤسسات هيئة الأمم، ومروراً بالدولة الصهيونية)، ودون هذا (الإدراك) فإن اليأس سيدب في نفوسنا، ونبدأ في لوم الذات وجلدها، لكن يجب أن لا نقف عند هذه النقطة فقط، بل علينا أن ندرك أنها ليست نهائية، ويمكننا أن نلحق الهزائم بهذه (القوة اللاعقلانية) كما حدث في (فيتنام) وكما حدث لإسرائيل (ممثلتها) في المنطقة عام ١٩٧٣م، وخلال الانتفاضة وفي لبنان أخيراً، فقوتهم ليست مطلقة..

كما يجب أن لا ندعي أن (الغرب) مسؤول عن كل ما حدث لنا، ف عوامل الانهيار والتفكك كامنة في مجتمعاتنا قبل وصول الغرب.

علينا أن نتحدث عن (القابلية للاستعمار) فالله تعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - كما جاء في سورة (الرعد: ١١).

إن بعض أبنائنا له لعبة مفضلة: يجلدنا ليل نهار، يضع كل العيوب فينا - ربما - دفاعاً عن العم سام، الحليف والمعشوق.

إنه يحفظ قاموساً للشتم لا يترك عقيدة ولا دين ولا حضارة ولا ثقافة لنا إلاهاجمها، وكلما قال شخص كلمة قال: وأنتم ماذا فعلتم وأين وجودكم؟! قال شخص للإمام علي كرم الله وجهه: لقد توليت الخلافة فلم تحقق لنا شيئاً، على حين نجح من سبقوك نجاحاً كبيراً فما السبب؟

قال الإمام: حين حكم من سبقوني كنت أنا جندياً في جيوشهم، فلما توليت الخلافة صرت وأمثالك جنودنا!

قضية مماثلة: كان الحجاج -ملك الاستبداد والطغيان- يسير خارج مدينة الكوفة، فلقي رجلاً فسأله: ما قولك بأمر المؤمنين؟ فأجاب: ظلوم غشوم، فقال الحجاج: ما قولك في أميركم الحجاج؟ أجب الرجل: وهل الحجاج إلا سيئة من سيئات أمير المؤمنين؟

في إسرائيل نجانا الله من عنصريتها مقولة: كل مشكلة في إسرائيل فلها الحل في واشنطن!

وكلما وقعت أمريكا في (حفرة) سارع -حكام عرب وغيرهم - لإخراجها قبل غروب الشمس، ومع ذلك فنحن الأعداء في نظر بريمر وكيسنجر، ولعنة الله على الظالمين والفاستدين وكل العنصريين.

الحلم بنظرية شاملة

كل حضارة تحلم أن تكون لها نظرية شاملة تفسر بها ما تلاقيه في الحياة، والدكتور المسيري يسجل هذا الحلم قائلاً^(١): لا بد أن نطمح للوصول إلى نظرية شاملة وكبرى... ولقد اكتشف

(١) العالم من منظور غربي ص (٢٩٤).

الإنسان الغربي استحالة مشروعه (المعريف) فانتقل من الاستنارة والتحديث إلى مرارة (الحدائث)، ومنها إلى عبثية ما بعد الحدائث (الاستنارة المظلمة)...

بالنسبة لنا لا يوجد سبب لتأرجح بنفس الطريقة، ما بين النظرية والحلول النهائية (من جهة) والعبثية والعدمية الكاملة من جهة أخرى.

وسنحاول الوصول لنظرية شاملة كاملة، نعرف مسبقاً أنها لن تصل لتفسير نهائي ولا ليقين مطلق، نظرية كبرى شاملة (نسيبياً)، أو في حدود ما هو ممكن إنسانياً... أ.هـ.

الناس يحلمون وحتى الآن لم تصادر الأحلام، وربما جاء اليوم الذي يحدد فيه (سقف للأحلام) ومن تعدها يحشر في قائمة الإرهاب وأهله، وربما يدخل في البند (السابع) الذي دخله العراق ولم يخرج بالرغم من خروج الأرواح يومياً، والبقية في حياة هيئة الأمم، ومن يعبثون فيها، فيحق فيهم قول البدوي العراقي الذي التبس عليه (القانون)، فقال: واللّه عجيب يا قانون يحكمون باسمك بالنهار، ويتلاعبون بأوتارك وأحانك بالليل!.

الانطلاق من الإنسان

ما زلت مع د. المسيري في أحلامه، فيجعل منطلقه من الإنسان^(١): إن الإنسان يقف في مركز (الكون والطبيعة) فهو كائن فريد مركب، لا يمكن رده في كليته إلى ما هو دونه (الطبيعة/ المادة) ..

ومن أهم علامات تميز الإنسان وتفرده (عقله) الذي لا يسجل الطبيعة بشكل (سلبى) وحسب، وإنما يعيها ويتفاعل معها بشكل جيد، أي أن عملية (الإدراك) ليست عملية تسجيل (بلهاء)، بل عملية (اختيار) ولكل هذا فإن الإنسان يتمتع بقدر من الاستقلال عن القوانين الطبيعية، ويقدر من (الحرية) إذ يمكنه النظر والتدبر، ثم الاختيار الأخلاقي (الحر المستقل) عن قوانين الحركة المادية، وهو قادر على الممارسة التي تستند لهذا الاختيار. فالإنسان هو الكائن الوحيد الذي يبحث عن (الغرض من وجوده) في الكون، وهو يرفض (تسطيح الأشياء)، إنه يطور المعاني الداخلية والرموز واللغة الحية، ورغم وجود (إنسانية مشتركة) تجمع بني البشر، إلا أن الإنسان لا يخضع لبرنامج (بيولوجي) وراثي واحد عالمي (مثل بقية الكائنات) فهناك هويات ثقافية مختلفة، وإرادات جمعية وفردية مستقلة، والإنسان الكائن القادر على إعادة (صياغة ذاته وبيئته) وفق

(١) العالم من منظور غربي ص (٢٩٧).

وعيه الأخلاقي الحر، وهو الكائن القادر على ارتكاب الخطيئة والذنوب والقادر على التوبة والعودة، وهو القادر على الصعود والهبوط، وعلى النبيل والخسة، فممارساته ليست انعكاساً بسيطاً أو مركباً لقوانين الطبيعة، فهو مختلف جوهرياً وكيفياً عن الظواهر الطبيعية، ويشكل ثغرة معرفية كبرى في النسق الطبيعي المادي، إنه ليس جزءاً لا يتجزأ من الطبيعة، بل جزء يتجزأ منها، يعيش فيها، ويعيش عليها، يتصل بها وينفصل عنها... إنه قادر دائماً على تجاوزها، ولكل ذلك فهو مركز الكون وسيد المخلوقات... أ.هـ.

الإنسان يملك الروح والعقل والعاطفة والغريزة، فلماذا يتحدث الغرب عنه كحيوان (هائج الغرائز)؟

الإنسان والتكريم الإلهي

لقد كرم الله الإنسان فقال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٠).

هذا التكريم (لبني آدم) يشمل الصغير والكبير، العالم والجاهل، وهو لكل من يحمل هذه الصفة (من بني آدم)، ومن كرمه خالقه فليس من حق أحد أن يهينه إلا إذا ارتكب ما يوجب العقاب، ومن صور التكريم:

١- اختيار رسل الله منه، وهم صفوة الخلق وتحميلهم رسالة السماء إلى البشر، وقد عرفت البشرية منهم الكثير ﴿وَإِنَّ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (فاطر: ٢٤).

وقريباً من الأنبياء يأتي الشهداء، وهم من صفوة البشر.

٢- لقد سخر الله الكون لخدمة الإنسان ﴿الْمُرْتَوُونَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (لقمان: ٢٠).

وبفضل هذا التسخير صار الإنسان سييداً مكرماً، له العقل والإرادة، لكن بعض النظم (المادية) جعلته (دابة همها العلف)، والبعض جعله حيواناً همها الأول إشباع بطنه وغريزته، ألهدا خلق الإنسان وكفى!

٣- خلق الله الإنسان في أفضل صورة ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين: ٤).

قال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ (التغابن: ٣).

٤- أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم أبي البشر ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ (الأعراف: ١١).

٥- جعل الله آدم خليفة في الأرض ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: ٣٠).

٦- جعل الله للإنسان عقلاً وإرادة، وهو المخلوق الذي يفكر ثم يقرر، بيتدئ جاهلاً ليموت وقد صار عالماً كبيراً.

٧- منع الله تعالى الاعتداء على الإنسان: نفسه وماله وعرضه، مهما صغر الاعتداء، حتى يرتكب ما يوجب العقاب فيعاقب الجاني في حدود جنايته، ولا يتعداه.

يقول الفضيل بن عياض^(١): واللّٰهُ ما يحل لك أن تؤذي كلباً ولا خنزيراً - بغير حق - فكيف تؤذي مسلماً؟

استخلاف الإنسان

ذكر الله تعالى استخلاف آدم فقال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰئِكَةِ اِنِّيْ جَاعِلٌ فِى الْاَرْضِ خَلِيْفَةًۭۙ قَالُوْۤا اَتَجْعَلُ فِيْهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيْهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۗ قَالَ اِنِّىْۤ اَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ ۝۳۰ وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْاَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلٰئِكَةِ فَقَالَ اَنْبِئُوْنِىْ بِاَسْمَآءِ هٰۤؤُلَآءِۙ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ ۝۳۱ قَالُوْۤا سُبْحٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَاۤ اِلَّا مَا عَلَّمْتَنَاۗۙ اِنَّكَ اَنْتَ الْعَلِيْمُ الْحَكِيْمُ ۝۳۲ قَالَ يٰۤاٰدَمُ اَنْبِئْهُمْ بِاَسْمَآئِهِمْ ۙ فَلَمَّآ اَنْبَاَهُمْ بِاَسْمَآئِهِمْۙ قَالَ اَلَمْ اَقُلْ لَكُمْ اِنِّىْۤ اَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَاَعْلَمُ مَا تُبْدُوْنَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُوْنَ ۝۳۳﴾ (البقرة: ٣٠-٣٣).

(١) سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٣٩٤/٧.

تستوقف الدارس للآيات السابقة أمور منها:

- ١- أن الله تعالى يبادر الملائكة في كونه يريد نصب خليفة في الأرض، وهذا أمر غير مألوف فالله تعالى خالق الكون والمتصرف في أمره، فما هذا (الجعل) وماذا يعني بالنسبة للملائكة؟
- ٢- الله تعالى لم يذكر اسم الخليفة، فكيف عرفت الملائكة اسم المرشح) وكيف راحت تهاجمه وتتهمه بتهمتين كبيرتين (الإفساد في الأرض وسفك الدماء)؟
- ٣- هل استنتجت الملائكة من (العرض) أنها مستبعدة من الاستخلاف؛ لأن الموجود هي وآدم، وإذن فهو المرشح؟
- ٤- كيف توصلت الملائكة إلى كون آدم وذريته مفسدين في الأرض ويسفكون الدماء؟ هل كان هذا نتيجة مراقبة لآدم وسلوكه؟ فوجهوا تهمتين له ولذريته من بعده؟
- ٥- إن الملائكة تعرضن نفسها للاستخلاف وتبرره بكونها لا يصدر عنها سوى العبادة والتسبيح، بينما آدم وذريته مفسدون ويسفكون الدماء؟
- ٦- يأتي الرد موجزاً (إني أعلم ما لا تعلمون)؛ لذا ليس من حقم أن تقفوا هذا الموقف، وسأثبت لكم ذلك بالبرهان العملي.

٧- كان البرهان نوع من الاختبار والامتحان - في لغة اليوم -
فعرض الله تعالى (الأسماء) البعض من المفسرين يعتقد أنها
أسماء الأشياء: هذا جبل وهذا نهر، وهذا نهار وذاك ليل.

هذه (مواد الاختبار) تعرض على الملائكة وعلى آدم،
والمطلوب تذكرها وعدم نسيانها.

نسيت أن أذكر أن جملة من المفسرين لكتاب الله
يعتقدون أن الله عرض (اللغات)؛ لذا قالوا: مصدر اللغات
توقيفي وليس من اختراع البشر.

٨- من خلال العرض يحصل مفهوم: إن الإنسان نظرًا لقدراته
الكبيرة على التعلم فهو الأصلح بعمارة الأرض.

٩- فإن صح هذا الاستنتاج يكون الإنسان المتعلم هو المؤهل
للاستخلاف أما من يعيش أميًا جاهلاً متخلفًا فليس أهلاً
لذلك؛ لأنه لا شيء عنده يقدمه، بل قد يعيش عالة على
غيره، أو على هامش الحياة.

هذه قضايا استوقفتني وأنا أتأمل آيات الاستخلاف.

١٠- أبني على ما تقدم: أن من مهمات الإنسان الأساسية
الكبرى عبادة الله تعالى وعمارة الأرض..

العبادة الصحيحة السليمة المقبولة تقوم على (النص
الصحيح) أما عمارة الأرض فتتطلب معرفة دقيقة لآخر ما
عرفه العالم من علوم ومعارف مع حسن استخدام.

أما العبادة فتقوم على النص الصحيح والبعد عن الابتداء، وإذا كانت العبادة لا تصح إلا بالاتباع، فالعمارة تتطلب (الإبداع) بل ربما الإبداع اليومي، ومن يقلد في الحضارة سيبقى طوال عمره (زبوناً).

ولللأسف الشديد لقد عكسنا الأمر فرحنا نبتدع في العبادة، ونقلد في الحضارة، فلا سلمت لنا العبادة ولا كسبنا (التحضر)! مفارقة كبيرة، بل كبيرة جداً.

وقفة مع آيات البقرة

يرى سيد قطب^(١) - يرحمه الله - أن الله تعالى يريد أن يسلم للمخلوق الجديد (آدم) زمام هذه الأرض، وإطلاق يده فيها، بيدع فيها عن طريق التكوين والتحليل والتركيب والتحوير والتبديل وكشف طاقات وكنوز هذه الأرض وتسخير كل ذلك في المهمة الملقاة على آدم وذريته.

إن منزلة الإنسان في الوجود منزلة عظيمة، والسؤال: من أين علم الملائكة أن آدم مفسد، ويسفك الدماء، وهو لم يفعل شيئاً بعد؟
ويجيب قطب: إنه ربما كان لديهم من شواهد الحال أو من تجارب سابقة في الأرض، أو من الإلهام، بحيث كشفوا عن

(١) في ظلال القرآن ١/٦٧.

شيء من فطرة آدم وذريته.. أما هم فبفطرتهم البريئة التي لا تعرف إلا الخير المطلق، والسلام الشامل، يرون أن التسييح والتقديس لله تعالى، هو الغاية (الكلية للوجود)، وعلّة الخلق، وكل هذا متحقق بوجودهم، وليس بوجود آدم وذريته.

لقد خفيت على الملائكة الحكمة العليا من (عمارة الأرض) وتسمية الحياة وتوزيعها وكذلك تطويرها وترقيتها، وكل ذلك يكون على يد خليفة الله في أرضه، إنه المرشح لذلك، وإن كان يفسد أحياناً ويسفك الدماء أحياناً، وخلف هذا (الفساد والشر) خير أكبر وأشمل، حيث النمو الدائم والرقي المستمر، خير الحركة التي تهدم لتبني، والتطلع الذي لا يقف، مع محاولة التغيير، وقد جاء (الرد) ليس بنفي الفساد، بل: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

هنا نحن أولاء نشهد طرفاً من ذلك السر الإلهي العظيم، الذي أودعه الله هذا الكائن البشري، وهو يسلمه مقاليد (الخلافة) سر القدرة على الرمز بالأسماء للمسميات، سر القدرة على تسمية الأشخاص والأشياء بأسماء يجعلها، وهي ألفاظ منطوقة، رموزاً لتلك الأشخاص والأشياء المحسوسة، وهي قدرة ذات قيمة كبرى في حياة الإنسان على الأرض ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ إنه التكريم في أعلى صورته، لهذا

المخلوق الذي (يفسد) في الأرض و(يسفك الدماء) ولكنه وهبه من الأسرار ما يرفعه على الملائكة، لقد وهب (سر المعرفة) وسر الإرادة المستقلة، التي تختار الطريق، إن ازدواج طبيعته وقدرته على تحكيم إرادته في شق طريقه واضطلاعه بأمانة الهداية لله، بمحاولاته الخاصة، وهذا بعض أسرار تكريمه... أ.هـ.

الأديان عمومًا والإسلام على وجه الخصوص، كرم الإنسان أعظم تكريم. أما حضارة اليوم فتقف بعيدًا، فالإنسان (حيوان) والتشابه بينهما كبير - خصوصًا حين يجري التركيز على الغرائز - وتفضل أوجه الاختلاف.

د. عبد الوهاب المسيري يناقش ذلك بدقة وعمق تحت (مقولة غير مادية).

مقولة غير مادية

يركز الغرب على ثنائية (الإنسان والطبيعة) ويصفها د. المسيري بكونها (ثنائية واهية)^(١): يمكن تصفيتها (بل تجب تصفيتها) لتسد كل الثغرات (التي تفصل الإنسان عن الطبيعة) لتسود الوحدة والواحدية (المادية) ومن هذه الواحدية المادية (نوع العلم الغربي) وهو لا يفرق - في نهاية الأمر - وفي التحليل الأخير بين الإنسان والقرود أو أي كائن آخر، إنه يهتم

(١) العالم من منظور غربي ص ٢٩٩.

بنقط (التشابه) بينهما أكثر من اهتمامه (بنقط الخلاف)، فما يجمعهما هو النظام الطبيعي المادي الذي ينطلق منه (العلم الغربي)، أما ما يفرق بينهما فهو (الثغرة المعرفية) النابعة من إنسانية الإنسان وتقرده داخل النظام الطبيعي، والتفسير المادي للأمر، فيلجأ لسد الثغرة المعرفية في النظام الطبيعي، وإلى تصفية ظاهرة الإنسان؛ لأنه تفسير غير قادر على استيعاب أي (ثنائية أو أي تركيب) يتحدى النظام (الواحد المادي البسيط).

لكن ليس هناك أي ضرورة لرفض مقولة الإنسان المركبة التي لا ترد إلى (المادة) خصوصاً وأنها جزء من تجربتنا الوجودية وإدراكنا (لذاتنا)؛ لذا بدلاً من تصفية الثنائية - بحثاً عن البساطة والواحدية - قد يكون من الأمانة أن نستدعي (ثنائية أخرى) ذات مقدرة تفسيرية وحسب، تفرص (الواحدية) على الواقع وتسوي الإنسان بالطبيعة، يمكن استخدام مقولات تفسيرية مادية - غير مادية، كمية - كيفية. مستمدة من النظام الطبيعي ومتجاوزة له في ذات الوقت، ومن ثم يمكننا التعامل مع ظاهرة الإنسان في كل تركيباتها، من جانبيها المادي وغير المادي... أي نستدعي مقولة غير مادية، هذه المقولة هي ما يطلق عليه المؤمنون (الله)، فهو مركز الكون الموجود (خارج المادة)، وهو الأقرب إلينا من حبل الوريد، يعني بدنينا وبمسار التاريخ، لكنه ليس كمثل شيء، ووجوده هو تعبير

عن وجود كل من الطبيعة وما وراءها... ووجود الإنسان يستند كلياً (إليه)، فكما أسلفنا يصير الإنسان (مركز الكون) بسبب تميزه وتفرده ووجوده (كثيرة) في النظام الطبيعي، ووجود الله تعالى هو (ضمان) أن لا تسد هذه الثغرة وأن لا تصفي ثنائية الإنسان والطبيعة، بل تظل (مقولة تفسيرية غير مادية) تشكل (ثنائية كبرى) هي ثنائية (الخالق والمخلوق)، وعنهما تتفرع كل الثنائيات الأخرى... وهكذا يخرج الإنسان من عالم الحتميات الطبيعية التي تسود عالم الأشياء... أ.هـ.

لقد رفع الله الإنسان إلى أعلى منزلة، فنفخ فيه من روحه وكرمه أكبر وأعظم تكريم، ومن يحاول الهبوط به إلى درك الحيوان، ويركز على غرائزه الدنيا، ووصفه بأنه ذئب، ومن ثم فإنه يحتقره، ويستهين بقدراته، وقد يمارس ضده أنواعاً من التعذيب يجعله يتمنى الموت، أو يتحول إلى (مارد جبار) يهدم البيت على أهله ونفسه - كما فعل شمشوم -.

وأخيراً الإنسان باني الحضارة، ومعمار الأرض، وهو قادر على هدم ما بناه، وأن يتحول من معمر كبير إلى مخرب أكبر، لديه الاستعداد ليرتفع إلى مصاف الملائكة، والهبوط إلى درك الشياطين، وما دام كذلك فهل المصلحة في تهيج غرائزه والتأكيد على عنصريته؟ أم المصلحة في دفعه نحو أخوة حانية بانية تقول له: «كلكم لآدم وآدم من تراب» وأن الأفضل هو الأتقى وليس الأقوى! وأن الخلق عيال الله أحبهم إليه أنفهم لعياله.

وأن نكرر - دون ملل - ارحموا من في الأرض يرحمكم
من في السماء.. وأن الظلم - متى دام دمر - وهو عدو الإنسان
ومدمر الحضارات.

الاستنجد بالتراث

د. المسيري وهو يبحث عن مشروع بديل يستنجد بالتراث^(١)،
فيرى فيه نموذجاً بديلاً نابعاً من حياتنا، وهو يحاول تحديد
مصطلح التراث فيراه يتكون من مجمل التاريخ الحضاري الذي
يتسع للإنجازات المادية والمعنوية للإنسان في هذه المنطقة،
ويشمل المكتوب وغير المكتوب، ونواة النموذج الحضاري
الإسلامي هي التنوع المعرفي والأساس فيه القرآن والسنة،
ويحويان القيم الإسلامية المطلقة، والإجابات الإسلامية عن
الأسئلة النهائية، وكلها قيم وأسئلة وإجابات ليس من اختصاص
العلم، وقد نبعت حضارتنا من هذه (القيم) ويمكن محاكاتها
من منظورها، والفقهاء الإسلامي يشكل (محاولة) الأسلاف لفهم
قواعد هذا النموذج المعرفي في (بعده الديني)، ومثله كتابات
المفكرين من مسلمين ومسيحيين ويهود، وهي محاولة لفهمه
في بعده الحضاري، والإبداع داخل هذا الإطار والانطلاق من
التراث لا يعني تحويله إلى نوع من (الأنثيكة) والزخارف التي
نزوق بها خطابنا التحليلي؛ لذا فهو لا يعني (التقليد الحرفي)

(١) العالم من منظور غربي ص ٣٠١-٣٠٥.

لاجتهادات المتقدمين، بل يعني استخلاص القواعد الكامنة في إبداعاتهم، ثم استخدامها في إعادة قراءة (تراثنا الحضاري) ومواجهة حاضرنا، وتوليد أسئلة عن واقعنا، وحلول لمشكلاتنا... وتصورنا وجود صوت عربي إسلامي (مستقل) ونماذج معرفية، قد تتفق مع النماذج المعرفية السائدة، وقد تختلف معها وعنهما.. وهذا لا يضمن أي إنكار لقيمة الحضارة الغربية، ولا يعني إنكار أهمية كثير من الاكتشافات الغربية، فكثير من هذه له صفة (العالمية) بالفعل؛ لذا لا نرى وجهاً للحرج في استخدام هذه (المكتشفات) في أي بناء نظري يخصنا، فكل ما نراه (صحيحاً وذا قيمة عالمية) هو بعض المفاهيم، ولكن هذه المناهج استخدمت المفاهيم التي نقبلها أو نرفضها في أنساق أو في نظريات كلية، هذه (الأنساق الخاصة) هي التي (تصدر إلينا) جاهزة (تسليم مفتاح) بوصفها (علمًا عالميًا) قابلاً للتشغيل المباشر (عندنا)، وهو الأمر الذي (يصعب قبوله) نظرًا لأنه يتنافى مع الروح العلمية الحقة للاجتهاد.

نريد فصل (الحداثة) عن الاستهلاكية، نريد فصل مفهوم (التقدم) المادي والفردية المطلقة..

إن المفهوم المادي للتقدم جعل الهدف من (الحياة) هو الاستهلاك، الذي يجعل من أفق الإنسان (لذته وسعادته

وفرديته المطلقة) فهذا التوجه الاستهلاكي يدمر الإنسان والعالم، ويجعل من (السلعة) محور اهتمام الإنسان، بدلاً من أن تكون إنسانيتنا المشتركة هي محط اهتمامنا..

معلوم أن ارتباط الحداثة بالاستهلاكية والفردية المطلقة هو مما يساعد على إشاعة (النموذج المعرفي الغربي)، كذلك فهو الذي أدخل العالم في هذا السباق المخيف، كما يؤدي لهدم الخصوصية... أ.هـ.

من يدرس النماذج الحضارية فسيجد نوعاً من الاتفاق والاختلاف، فالنظام الاجتماعي في الإسلام بعيد عما تتبناه الحضارة الغربية وتحاول تعميمه، وأنا أكتب عن (اليابان) وتجربته في النهوض وجدت اليابانيين درسوا الأنظمة الغربية دراسة واعية، فقرروا نقل النظم السياسية والاقتصادية، ورفضوا النظام الاجتماعي، بعد ذلك قاموا بحملة توعية وتعريف استمرت سنوات، ولما باشروا بتطبيق الأنظمة الغربية، ظهرت فيهم الأمراض التي ضربت الغرب، ضمن مفرزات النظام السياسي الرغبة في استعمار البلاد المجاورة، حتى استعمرت أوروبا كل دول العالم، ودخلت بسبب ذلك في حروب طاحنة.

اليابان عاشت في عزلة تامة داخل حدودها، وبعد الأخذ بالنظام السياسي الغربي خرجت كلياً عن تراثها وتقاليدها، فصارت دولة استعمارية توسعية واكتسحت شرق وجنوب آسيا كلها..

وبعد خسارتها في الحرب العالمية الثانية وضرب مدنها
بالقنابل النووية، رجعت إلى تراثها القديم، ونفضت أيديها من
تكوين جيش قوي، فقد كلفها ذلك خسارة لن تتساها.

أتيحت لي فرصة في زيارات متعددة لأفريقيا من شمالها
للجنوب ومن الشرق للغرب، فكان مما سجلت: أن أمراض
الحضارة الغربية تطحن القارة طحنًا فتتشر الفساد وعلى
رأسه الرشوة والسرقعة وانتشار (الإيدز) والمخدرات والخمور،
كل ذلك مع جهل قاتل وفقر أسود لا مثيل له، وبطالة على أوسع
نطاق، أما حضارة الغرب فلم تصل بعد.

لقد أتيت لي أن أسافر ما بين تركيا شمالاً وأقصى نقطة
في جنوب أفريقيا، حتى وقفت على ملتقى المحيطات في رأس
الرجاء الصالح، كما زرت إنجلترا غرباً وماليزيا شرقاً وما
بينهما، وقد وجدت أمراض الحضارة تضرب ابتداءً من الفساد
الخلقي إلى تهديم الأسرة، ومن انتشار الفقر إلى انتشار الفساد
والسرقعة، وهذه حقيقة موجعة يصعب تجاهلها أو تبريرها..

وعودة للتراث فبعض آبائنا يعتقد أن هذا التراث هو سبب
تأخرنا، ومن أجل التقدم لابد أن نهيل عليه التراب والتخلص
منه، والسؤال: هل توجد سابقة بشرية بحيث تخلت أمة عن
تراثها الحضاري وثقافتها كلياً وحسب إرادتها وقناعتها؟

تحيز جبر الصراعات

من باب (كل فتاة بأبيها معجبة) فكل أمة معجبة بنفسها وثقافتها وجل ما عندها، لكن أن ترتفع الحرارة فتحتقر الآخرين وثقافتهم وحضارتهم وتاريخهم، من هنا تبدأ التوترات وتشتعل الصراعات، ولعل الأدهى أن يفعل ذلك (القوي) ثم يغلف نظرتة للآخرين ليجعلها في خدمة التقدم والحضارة، وهي ليست كذلك ولا تقترب من ذلك.

يتحدث د. المسيري^(١) عن (التحيز) في المنهج والمصطلح فيعد القضية (إشكالية) مهمة تواجه أي (دارس) في الشرق والغرب والشمال والجنوب لكنها تواجهنا في العالم (الثالث) بحدة، فنحن نعيش في بيئة حضارية وثقافية لها نماذجها (الحضارية والمعرفية) المختلفة النابعة من تراثنا الحضاري ومن واقعنا التاريخي، لكننا نواجه بنماذج تحاول أن (تفرض) نفسها على (واقعنا) بل على وجداننا وفكرنا.

فمنذ نهاية القرن (١٨) ومع انتشار (الإنسان الغربي) في أرجاء العالم، من خلال (التشكل الاستعماري الغربي) وقيامه (بتدويل) نماذجه الحضارية والمعرفية، بدأ أيضاً ما يعرف بـ (الغزو الثقافي)، فالإنسان الغربي يفرض نماذجه هذه على (العالم).

(١) العالم من منظور غربي ص (٢٢).

هذه النماذج أثبتت (نفعها) في الغرب في المجالات الاقتصادية والسياسية، لكنها لها جوانب مظلمة بل (مدمرة) في مجالات أخرى، هذه النماذج ليس لها بالضرورة علاقة قوية بواقع شعوب العالم - غير الغربي - أي غالبية شعوب العالم، وهي لهذا السبب غير قادرة على (التفاعل) مع هذا الواقع، أو الإسهام في تغييره أو تغييره، بل ويؤدي تبنيها أحياناً (لتدميره)، وزاد الأمر سوءاً أن (حضارة اليوم) أفرزت (الحضارة الاستهلاكية العالمية)، وهي حضارة نبعت من النموذج (المعريف المادي الغربي) لكنها انفصلت عن (جذورها) وأصبحت (مستقلة في حركتها) لكنها - في تصوري - تقوم (بتقويض) كل الأشكال الحضارية، حتى الحضارة الغربية نفسها... أ.هـ.

تحيز وإعجاب بالذات وما أنتجت، تثمر توتراً، يتحول إلى صراع، تكون الكلمة فيه للأقوى، ثم يبدأ الأقوى يتحدث عن نهايات: نهاية التاريخ، نهاية الجغرافيا، نهاية الأدب.. شعور غريب يضرب إنسان الغرب في قلبه وعقله.

أقول وانحطاط

العالم يسير نحو حروب وكوارث وفق (رؤيا يوحنا) - في نهاية الأناجيل - وأن ثلث العالم سيقتل كمقدمة لعودة (السيد المسيح).

مدير مركز الأبحاث الوطني الفرنسي (أندريه تاغيف) يستعرض في ٢٠٠٧/١/١م ما يؤمن به أنصار (المحافظون الجدد) ثم يعقب قائلاً^(١):

منذ الثلاثينيات من القرن العشرين راح فكر (الأفول والانحطاط) ينتشر في المجتمع الفرنسي، حيث ربط الفرنسيون بين (التردي) وبين (الأمركة) حتى كثر الكلام عن انحطاط الأقسام التي تزاول (التجارة) يقصد (الانكلوسكسون) إذ نقل هؤلاء (عدوى التردي والانحطاط) للشعب الفرنسي (الحقيقي) والذي قوامه (فلاحون محاربون) ..

ومنذ عام ١٩٦٠م انتبهنا للوجه الصناعي والبيروقراطي في كارثة (هيروشيما وناكازاكي) والإبادة الجماعية لليهود قبلها. فالحداثة لم تطوِّفحة المجازر الجماعية، بل أباحت للبشرية (حرية تدمير نفسها) .. في السبعينيات من القرن، جدد فكر (الأفول والتردي) عباراته مع نشوء حركة (مناوأة للسلاح النووي) فراحت الحركة (تتدد) بالتقدم العلمي والتقني، فيذهب خبراء البيئة ودعاة المحافظة عليها إلى أن الإنسان هو (مرض الأرض)، ومن ثم فناؤه يخدم بقاء النوع البيولوجي، وهذا بعث لنظرية (مالتوس) إذ هناك من يحذر من (خطر فتاء الجنس البشري) ... أ.هـ.

(١) صحيفة الحياة ٢٠٠٧/٢/٧م ٢٠٠٧/١/١٩م (١٤٢٨هـ).

والسؤال: هل هذه نظرية جديدة في تفسير التاريخ بحيث يمكن القول: إن الإنسان باني الحضارة سيقوضها وينهيها كما بدأها، ومن يملك ابتداء يملك انتهاء؟

من الحب ما قتل!

الطلبة العرب من يبتعث منهم للغرب يعتقد أنه (جمع المجد من أطرافه) .. ذات يوم قررت الحكومة العراقية أن تبعث طلبة، فمن يدرس الطب فإلى إنجلترا، ومن يدرس الهندسة فإلى أمريكا، ومن يدرس الزراعة فإلى مصر، لكن الحكومة فوجئت بأن كل من وجه لمصر يرفض ابتعاثه.. د. هاشم صالح ممن جرى ابتعاثه للغرب، وهو يسجل تجربته وما رافقها فيقول^(١): كنت أعتقد أن الحل يكمن في الاستمولوجيا، وككل باحث عربي غادر بلاده للغرب وجامعاتها، كنت مسحورًا بتلك النظرية التي أتاحت نشأة هذه الأمور في الغرب، وأتاحت التفوق على كافة الأمم ابتداءً من القرن (١٦) وحتى اليوم، فلسفة العلوم، أو فلسفة المعرفة هي التي تدرس شروط إمكانية وجود المعرفة الصحيحة وتمييزها عن كل معرفة خاطئة، فهي التي تبلور معايير التقدم وطرائق الاكتشاف والبحث العلمي، ولكن وبعد مدة طويلة من (التيه والتخبط) اكتشفت أن الحل يكمن أولاً في الثيولوجيا وليس في الاستمولوجيا، وفي (علم الكلام)

(١) الثقافة العربية في مواجهة الثقافة الغربية ص (٢٤).

علم الله، علم اللاهوت، قبل أن يكمن في علم الطبيعة أو الفيزياء أو الرياضيات، عندئذ فهمت أن تحرير السماء يسبق حتمًا تحرير الأرض، بل لا جدوى من تحرير الأرض قبل تحرير السماء، هذه السماء التي تضغط كالسقف فوق رؤوسنا... اهـ.

د. هاشم صالح يطرح (فكرة) تقول: العقيدة قبل العلوم والمعارف، وعلوم السماء مقدمة على الأرض..

الصراع يتطلب أعداء

هل من متطلبات (الصراع) وجود عدو أو أعداء ليأخذ الصراع مداه؟ قبل الإجابة أذكر بما كان معروفًا لدى عرب الجاهلية أن من ينوي السفر يصنع (صنمًا) من تمر، فإذا جاع ولم يجد ما يأكل أكل (صنمه)..

صراع الأفراد لا يحتاج لكن صراع الدول والحضارات قد يفتقد من يتصارع معه، فيقوم الطرف المصارع لتصنيع هذا العدو، ثم يتفنن الصانع بمنحه الأوصاف المناسبة مثل متوحش، متطرف، إرهابي، عدواني، عنصري، طائفي، والقائمة مرشحة للمزيد مثل: الشيطان الأكبر، والدول المارقة، وأعداء السلام، ونسيت (عدو الاشتراكية) وأعداء عودة (السيد المسيح) والحاسدون لأمريكا، وأعداء الحداثة، ونسيت (اللاسامية)، اللعنة الجديدة..

المنصور يفسر التاريخ

أبو جعفر المنصور من خلفاء بني العباس المعروفين بجودة الثقافة، طرح يوماً سؤالاً: لماذا سقطت الدولة الأموية بسرعة؟ واستمع لإجابات لم تعجبه - كما يبدو - فأجاب عن التساؤل قائلاً: كان لبني أمية أصدقاء وأعداء، وهكذا جل الدول، أهملوا الأصدقاء ثقة بمودتهم، وتطلعوا لكسب الأعداء، فلا احتفظوا بالأصدقاء ولا كسبوا الأعداء.

رئيس ألماني سابق - أحسبه اشمدت - طرح نظرية ملخصها: يجب تحديد الأصدقاء والأعداء، ورسم السياسة وفقاً لهذه الصفة.

د. أحمد أوغلو - وزير الخارجية التركي - يقول: بعد انتهاء (الحرب الباردة) بدأت جهات عدائية جديدة في الظهور على الساحة، حالة محل ذلك التطور المتميز، ففي العديد من (الخرائط الافتراضية) التي رسمتها الصحف لما يتعلق بالتوزيع (السياسي للقوة) خلال القرن (٢١) كانت الأصولية الإسلامية هي (التهديد الوحيد) الذي سيعوق (عولمة القيم) تلك التي تتبناها (الحضارة الأمريكية) وتحول دون قيام (أوروبا موحدة) ..

تحليل فوكوياما يسير على هذه الوتيرة نفسها، بل يذهب لأبعد من ذلك فيرى: أن الإسلام تمكن بالفعل من (وَأد) الديمقراطية الليبرالية في أجزاء عديدة من العالم الإسلامي، الأمر الذي يشكل (تهديداً) صارخاً للممارسات الليبرالية، حتى أدخل دولاً لم تحقق الديمقراطية السياسية بشكل مباشر.. فقد أعقب (نهاية الحرب الباردة) ظهور تهديد (عراقي) ضد الغرب، حيث شكل الإسلام عنصراً مؤثراً بشكل لا يقبل الجدل.. هكذا فإن تصوير العالم الإسلامي كعدو محتمل قد برر (ثلاثة إجراءات) ضد الشعوب الإسلامية:

١- تبرير سياسة (القمع السياسي) ضد الجماهير المسلمة على أيدي النخب (السياسية الفاسدة الموالية للغرب)، وتحت تأثير مثل هذا (الضغط النفسي) وعمليات غسيل المخ، فقد مارست النظم العسكرية في الجزائر مثلاً: انتهاكاً لحقوق الإنسان، وكذلك القيام بإجراءات (شمولية) غير ديمقراطية، ولم توضع مثل هذه الأنظمة (العسكرية) موضع المناقشة، ولم يحصل ضدها مجرد (إدانة لفظية)، وظهر الأمر كما لو كان هناك منظومتين مختلفتين من القيم متناقضتين.

٢- حصول قمع متوحش عانت منه (الأقليات المسلمة) - الذي تعده القوى التي تزعم الدفاع عن حقوق الإنسان - لم تصدر

عنها مجرد (شأن داخلي) لا يجوز التدخل فيه، بل تركه للدول التي تعايشه الأقليات المسلمة.. فالمسلمون في (كشمير وجورجيا وكوسوفا) وأمثالها حرمت كلياً من (التمتع بعالمية القيم الديمقراطية) بعد أن ذقت الأمرين في تلك البيئات المعادية، بل اتسع نطاق هذا الأسلوب ليصل إلى أن (قطاع الطرق الصربيون) بعد قتلهم النساء والأطفال المسلمين، وصفوا بأنهم بصد (إنجاز مهمة تاريخية) لحماية أوروبا من الأصولية الإسلامية، كما لو كان (مليون بوسني مسلم) قد رزحوا دهوراً تحت قمع حكومات، صاروا قادرين على غزو أوروبا..

٢- لقد تمثل عقد تحالفات (دولية ضد أي تهديدات إسلامية) فتجد (سنتاتور أمريكي) مثل (لاري برسلر) - عضو في الحزب الجمهوري - يصر خلال زيارة للهند بداية عام ١٩٩٢م على أن اتحاداً نووياً إسلامياً يتكون من تسع دول في وسط وجنوب آسيا هو على وشك القيام؛ مما سيهدد استقرار (الهند) بشكل خاص والاستقرار العالمي بشكل عام، ولا يزال المحللون منكبين في محاولات حثيثة لإثبات (الحزام الإسلامي) الممتد من تركيا إلى إيران وأفغانستان وباكستان، مروراً بخمس جمهوريات سوفياتية - سابقة - هذه المنطقة مقدمة على التحول إلى (الأصولية)..!

مما يدهش أن هذا الحزام الإسلامي نفسه يحظى بالدعم والرعاية من قبل أمريكا، على أيام (الحرب الباردة) لضمان مصالح أمريكا.

بالمثل تطالب (صربيا) بتوسيع التعاون مع اليونان في منطقة (البلقان) بينما تعمل أرمينيا على (تهييج) المشاعر الدينية في الدول المسيحية الكبرى، بهدف كسب الدعم في حربها ضد (أذربيجان).. بالمثل تدعم إسرائيل (الهند) ضد الحركات الشعبية في كشمير والبنجاب، مع كل الانتهاكات الإسرائيلية لحقوق الإنسان في فلسطين.. وهكذا يظهر (التحيز السافر) ضد العالم الإسلامي المدعوم (بتبسيط مخل) لمفاهيم الأصولية الإسلامية، بحيث يخفي وراءه (عدائية متعفنة) وبتحريض من الدول المجاورة للعالم الإسلامي..

هناك خلفية تاريخية ذات أبعاد نظرية و(خيالية) لمثل هذا (التحيز) ضد الأصولية الإسلامية - دون سواها - ولعل من أهم هذه التحيزات:

(أ) أن الحضارة الإسلامية هي الوحيدة التي حظيت بمنزلة أرقى من الحضارة الغربية.

(ب) مقاومة المجتمعات الإسلامية للأطماع الاستعمارية خلال القرنين (١٩، ٢٠) بينما رضخت مجتمعات أخرى أمام الغرب.

ج) تسعى الجماهير المسلمة حالياً من أجل إعادة صياغة ثوابتها الحضارية وثقافتها في عصر (العولمة الثقافية) واحتكارها. وهذا ما يفسر: لماذا يجري الحديث عن المسلمين بوصفهم عناصر (غير منسجمة) مع النظام العالمي؛ لذا فتمة شعور ينتاب الجماهير المسلمة بعدم (الأمان) فيما يتعلق بدور النظام العالمي الحالي، وذلك راجع لانتهاج سياسة (الكيل بمكيالين) والمعايير المزدوجة في القضايا الدولية.

فالأطماع (التوسعية لإسرائيل) يجري التسامح معها من قبل (النظام العالمي) - وبكرم كبير - بينما توصف الانتفاضة الفلسطينية بكونها (إرهابية) وكذلك فإن حركة (التمرد) في أوروبا الشرقية بأنها (انتصار للحرية).

حتى المنظمات الدولية تتناهبها (حساسية مفرطة) تجاه الأقليات في بعض دول العالم، دون أن تكلف نفسها عناء (الشجب) لما تتعرض له (الأقليات المسلمة) في دول كالهند وبلغاريا وكشمير وبورما وأمثالها، بينما تعد دول مثل باكستان وكازاخستان، تشكل (خطرًا نوويًا) على العالم، بينما لا تشكل إسرائيل مثل ذلك.

إن هذه الحقائق وأمثالها كثير تجعل الجماهير المسلمة تفقد الثقة بالنظام العالمي (كوسيط محايد)، خصوصاً في

الجرائم التي ترتكب في حق الشعوب الإسلامية، وخصوصاً خلال (العقدين) الماضيين.

إن شعور المسلمين (بعدم الأمان) هو أحد الأسباب وراء ردود فعلهم تجاه الدور الذي يلعبه النظام العالمي المعاصر... أ.هـ.

بات من المعلوم أن (التجارب الديمقراطية) ابتداءً من نهاية الحرب العالمية الأولى وإلى اليوم قتلت واستبيحت عن طريق الانقلابات العسكرية المخطط لها من الغرب والممول لها والمشجع عليها حتى يومنا هذا، خصوصاً في العالمين العربي والإسلامي.

ويلاحظ أن الغرب عمومًا وأمريكا على وجه أخص، لا تعترض على حاكم فاسد مستبد ما دام يخدم الغرب وخططه، لذا يشهد العالم العربي رؤساء دول أو رؤساء جمهوريات (مدى الحياة) ويسمح للحاكم بتزوير الانتخابات أو تقاطع المعارضة، ولا من يعترض، وإن جرت معارضة فهي شكلية (لرفع العتب) لكن الويل لمن يجدد أو يمدد في الرئاسة وهو غير محسوب على الغرب.

هناك رواية عن أخ لصدام أنه جرى كشف لأكثر من أربعين محاولة للإطاحة بـ(صدام) وكان كل تنظيم يصل علمه للأمريكان يذبح أهله من قبل نظام صدام.. وهكذا حصل مع شاه إيران وسوهارتو، وهناك حكام عرب منهم من قضى نحبه

ومنهم من ينتظر، فالذين سيكون على الديمقراطية لا يتذكرونها إلا إذا كان (عنتر) معادياً للغرب وإسرائيل.

أما لوم إسرائيل فصار بفضل الفيتو الأمريكي من المستحيلات الكبرى، فكيف بمحاسبتها وعقابها، إسرائيل اليوم فوق القانون، تخيف الدول والأشخاص الكبار، لكنها لا تخاف ولا تهاب، ومع ذلك مطلوب منا أن نقدر النظام العالمي (المختل) وإلا فنحن ضد حضارة الغرب ومع الإرهاب والدول المارقة، والويل لمن كفره النمرود!

صراع حضارات أم بنيها؟

العالم تكثر بلايينه وتكثر وتتعاظم صراعاته، فهل هو بحاجة لصراعات جديدة؟

البعض استحدث (صراع الحضارات)، ومنهم فوكوياما..

المفكر والكاتب (وليام فاف) كتب مقالاً في صحيفة (الهيرالد تريبيون) في ٥/١٢/٢٠٠٢م، تحت عنوان (توقفوا عن اعتبار الإسلام عدواً) العنوان معبر وقد جاء فيه^(١): إن مجموعة من أهل الفكر في (واشنطن) يعملون على تحويل الحرب (ضد الإرهاب) - التي تشنها حكومة بوش، إلى حرب (ضد الحضارة

(١) صناعة العداء للإسلام، رجب البنا، ص (٢٨٢)، الطبعة الأولى.

الإسلامية وضد الإسلام) ومن هذه المجموعة شخصيات مؤثرة في الفكر والقرار السياسي في أمريكا، مثل: أليوت كوهين وكنيث ادليمان، مستشار هيئة السياسة في البنتاغون، وهذه المجموعة توجه (النقد) للرئيس بوش، لأنه يقول: إن الحرب الأمريكية موجهة ضد الإرهاب وليست (ضد الإسلام)، وهم يقولون: إن الإسلام نفسه هو عدو أمريكا، ذلك لأنه والحضارة الإسلامية يقومان على (التعصب وعلى معاداة القيم الغربية، وعلى دعوة الناس لدخول الإسلام وعلى التوسع بالقوة والعنف).

ويعتقد هؤلاء بأن الإسلام كان معاديًا (للغرب) قبل أن توجد إسرائيل، وأن الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي لا علاقة له بهذه الأزمة مع الغرب.

وهناك قطاع من (الإنجيليين البروتستانت) يؤكدون أن (الإسلام هو الشر).. إنهم يعجزون عن تفسير موقفهم (ضد الإسلام) أي ضد أكبر دين، حيث يبلغ اتباعه أكثر من (بليون) إنسان ينتشرون في الكثير من دول وأنحاء العالم.

إن الحكم على المسلمين يجري بحسب (الهوية) وليس بحسب السلوك؛ ولذا فالصراع والحرب حتمية.

إن المسلمين لا يتحملون مسؤولية (حكامهم المستبدين)، مثلما لا يتحمل الشعب الأمريكي مسؤولية ما تفعله حكومته في العالم.

إن التفكير بهذه الطريقة هو تفكير (عنصري) ينظر
للهوية وليس إلى الفعل والسلوك... اهـ.

وإذا كان الإسلام وحضارته هما المسؤولين عن كره الغرب
ومعاداة حضارته... إلخ، فمن كان وراء الكره السوفيتي للغرب
الرأسمالي ولحضارته وكل ما أنتجته؟

وهل كان هتلر خليفة من خلفاء المسلمين الذي أشعل حرباً
كونية ضد الغرب؟

وكيف يفسر هؤلاء المفكرون أن هناك في العالم نسبة
جاوزت ٨٤٪ تعد أمريكا خطراً على السلم العالمي^(١)؟

عمر الإسلام اليوم (١٤) قرنًا.. فلماذا تأخر الكره حتى
قامت أمريكا لينصب عليها؟

شهادة من جامعة هارفرد

هذه شهادة مصدرها أستاذان مختصان من جامعة
هارفرد ليس أحد منهم عربي أو مسلم، لديهم شهادة موثقة
(خطياً).

(١) أجرت شبكة (تايم يورب) استطلاعاً للرأي شارك فيه (٣٠٠) ألف إنسان
حول الدولة التي تشكل خطراً على السلم العالمي في ٢٨/٢/٢٠٠٣م
فأجاب ٨٤٪ أن أمريكا هي الخطر الأكبر.

الأستاذان هما (جون ماشايمر وستيفن والت)، وهما أستاذان في العلوم السياسية في هارفرد بارزان، وهما يوجهان (لومًا شديدًا) لدور اللوبي الصهيوني في أمريكا (إيباك)، فهو الذي يرسم بشكل أساسي (السياسة الخارجية الأمريكية)، وهي سياسة تعادي (المصالح الأمريكية).

وتؤكد الدراسة الاتهامات الموجهة إلى المحافظين الجدد ودورهم في السياسة الأمريكية.. إن اللوبي الصهيوني (يضمن) استمرار أمريكا في اتباع سياسة (موالية لإسرائيل)، وتستخدم تهمة (اللاسامية) لإسكات كل الأصوات (المنتقدة) لإسرائيل، هذا وأن دعم (إسرائيل) ليس في مصلحة أمريكا، بل يساهم في زيادة (الصعوبات) أمام واشنطن فيما يسمى (الحرب على الإرهاب). إن إسرائيل تشكل (عقبة) في وجه هذه الحرب، وكذلك التعامل مع الدول (المارقة).

إن مشكلة السياسة الأمريكية (ضد الإرهاب) تعود لتحالفها الوثيق (مع إسرائيل) وليس العكس، ولا يوجد مبرر (لقلق أمريكا) حيال إيران أو العراق أو سوريا، لو لم يكن لذلك صلة بعلاقة أمريكا (الوثيقة مع إسرائيل).

وأما المزاعم بأن إسرائيل تستحق (العلاقة الوثيقة) مع أمريكا بوصفها دولة (ديمقراطية حقيقية)، فهي مزاعم لا

أساس لها، فأسرائيل تستخدم (التعذيب) بحق الفلسطينيين، وهي وسائل لا تتفق مع القيم الأمريكية^(١) ... أ.هـ.

أحسب أنها شهادة يصعب الطعن فيها، وإن كان الذين استحووا ماتوا، والبركة في (المنافقين) وما أكثرهم اليوم، لا بارك الله فيهم.

شهادة غير متوقعة من فوكوياما

فوكوياما الياباني الأصل الأمريكي الجنسية وصاحب نظرية صراع الحضارات، له شهادة تستحق التسجيل، فهو يقول بصراحة تامة^(٢): (التشدد منا وليس من الإسلام)، هذه الشهادة مما يصعب الطعن فيها أيضاً، يقول فوكوياما: إن مؤرخين معاصرين أمثال: آلان ورويا وأيورماند يقولون: إن كثيراً من أفكار (الإسلام الراديكالي) المتطرف لم تأت من معين الإسلام، بل استمدت أصولها من أفكار ونظريات وتجارب الغرب، من أمثال الفاشية إلى الماركسية... وهذا ليس من صدام الحضارات، بل في الأقرب لما ظهر في القرن العشرين..

(١) صحيفة الحياة في ٢٢/٣/٢٠٠٦م (٢٢/٢/١٤٠٧هـ).

(٢) أمريكا على مفترق الطرق، عرض محمد الخولي، مجلة البيان الإماراتية لعام ٢٠٠٦م.

إن (أخطر البشر) ليسوا المسلمين (الأتقياء) في الشرق الأوسط، بل هم شباب يعاني (التهميش وانقطاع الجذور والاعترا ب) في هامبرغ ولندن وامستردام، ممن ينشدون تحت شعار (الجهاد) هذه المرة إجابة على بحثهم الشخصي عن (الهوية)، وقد سبقهم لذلك الجماعات الفاشية والماركسية..

إن أمريكا لن تكون في مقدمة (التعرض للخطر) من سكانها (المسلمين)، كما هي حال أوروبا (المهددة)، وإن الديمقراطية لن تكون (الحل الناجح) في المدى القصير (لمشكلة الإرهاب)، فقد هوجمت مجتمعات ديمقراطية في كل من: أسبانيا وانجلترا وهولندا، والحل سيكون في (دمج الشباب الساخط المغترب) في صلب الحركة والحياة الطبيعية في تلك المجتمعات الأوروبية... ا.هـ.

بعد هذه الشهادة الواضحة، يتساءل فوكوياما: لماذا

يكرهوننا؟

هذا السؤال طرحه أكثر من رئيس أمريكي وآخرهم بوش

(الابن) ويزيد: لماذا يكرهوننا ونحن طيبون؟

يجيب فوكوياما بصراحة تامة: استطلاعات الرأي العام

تفيد أن (السواد الأعظم من المسلمين لا يكرهون أمريكا ولا

الغرب)، لكنهم يكرهون السياسة الخارجية التي تتبعها أمريكا،

ويرون أنها تؤيد إسرائيل (على طول الخط وضد الفلسطينيين) كما تساند (حكماً مستبدين) على حساب الديمقراطية، وهذه رسالة لا يريد سماعها (جمهرة الأمريكيين) ومعهم كثير من (المحافظين الجدد) بالذات، وهم الذين كانوا يضغطون باتجاه (غزو العراق)..

والمشكلة أن انتهازية هذه الخطوة قد ارتدت (سهماً) أصاب إدارة بوش نفسها - بعد الحرب - عندما اتضحت كذبة (أسلحة الدمار الشامل)، فلم تعد تثق في أمريكا، بل قيل: إن الدوافع كانت (البتروول ومصلحة إسرائيل)... ا.هـ.

شكراً لفوكوياما على هذه الصراحة وهذا الوضوح الجيد..

شهادة أخيرة مميزة!

شاعر عربي لوذعي رسم صورة لقضية اجتماعية حيث قال:

ولا يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

لكن البعض يفلسف ويقول: شدة الظهور قد تورث نوعاً من

الخفاء.

المفكر الشجاع (إيما نوبل تود) له مؤلف جيد يتحدث فيه

عن (ما بعد الإمبراطورية) فيدرس الموقف الأمريكي من العرب

وإسرائيل، ويحاول تفسير هذا الموقف الشاذ - بكل أبعاد الشذوذ - فيقول^(١): إنه لأمر غريب أن يرى الإنسان أهمية (العلاقة مع إسرائيل) إلى جانب علاقة معادية شاملة لأمريكا مع العالم العربي وبصورة أوسع مع العالم الإسلامي، إن (عقلانية) هذه العلاقة ومنفعتيها أمر عسير، فأطروحة التعاون الضروري بين (الديمقراطيات) غير مقنعة، والظلم الذي يرتكب ضد الفلسطينيين كل يوم من جانب الاحتلال الإسرائيلي، لما تبقى لهم من الأرض، هذا بحد ذاته نفي (لمبدأ المساواة) الذي هو أساس (الديمقراطية)، أما الديمقراطيات الأخرى، وعلى وجه الخصوص الأوروبية، لا تحمل لإسرائيل التعاطف، دون أي عقل - كما تفعل أمريكا -.

ولعل (المنفعة العسكرية) للجيش الإسرائيلي تشكل تفسيراً أكثر جدية، فضعف القوات (البرية الأمريكية البطيئة)، التي تأنف أكثر فأكثر من تحمل (خسائر بالأرواح) يستدعي بصورة متزايدة للاستخدام المنهجي (للقوات الحليفة أو المرتزقة) في العمليات على الأرض، ونتيجة (الإرهاق) الذي تجلبه الرغبة في السيطرة على (الريع النفطي)، فإن حكام أمريكا لا يجروون على التخلي عن الدعم (الإقليمي) الذي يقدمه إليهم الجيش الإسرائيلي، الذي يعد (أقوى جيش في المنطقة) ... أ.هـ.

(١) ما بعد الإمبراطورية، إيما نوبل تود، ص (١٢٧)، الطبعة الأولى.

تود الشجاع يعتقد أن النشاط العسكري الأمريكي (سيتركز) مستقبلاً على العالم الإسلامي تحت شعار (الحرب ضد الإرهاب) ، ويصفه بأنه الشكل الأخير للمسرحية، وخلف ذلك جملة عوامل تعود لتراجع بعض موارد الإمبريالية لأمريكا في المجالات الأيديولوجية والاقتصادية والعسكرية.. فهي تبحث عن عنصر معروف بضعفه العسكري الشديد، كي تجعل منه هدفاً سهلاً مفضلاً..

إنها تهاجم العراق الذي أنهكه الحصار وأهلكه النظام المستبد المكروه، وتهاجم أفغانستان التي تنتمي لدول العالم (الرابع وليس الثالث) ، لكنها تقشل فشلاً ذريعاً في إبعاد حاكم مثل (كاسترو) وتجمال كوريا الشمالية، أما الصين فتغازلها ليل نهار، لقد حققت أمريكا المثل الشعبي العراقي (أبي لا يقدر إلا على أمي) وأحياناً يعجز!

ومن هذا حاله فهل يقدر على قيادة العالم وإدارة الصراع المناسب، أم سيوكل بعض ذلك لإسرائيل وجيشها (المراهق عسكرياً)؟

أعتقد أن أمريكا تبحث عن نظم فاشلة فاسدة مكروهة لتهاجمها، ثم تبرز عضلاتها وتقول: هل من منازل؟